ملخص بحث

الأفعال الكلامية غير المباشرة في جوابات الإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة ومستدركه

ينماز الفعل الكلامي غير المباشرة من سواه باكتنازه معنى ثانوي في نفسه يغاير المعنى الظاهري والذي يحتاج الى التنبه والتركيز وإعمال الذهن لمعرفته والوصول اليه وقد كانت جوابات الإمام(عليه السلام) مليئة بهذا النمط من الأفعال الكلامية إذ اكتنزت في نفسها على معان غير ظاهرة تكمن خلف المعنى الصريح إذ كان الإمام(عليه السلام) غالبا ما يذكر شيئا في جواباته ويريد به شيئا آخر وذلك يرجع الى طبيعة السياق أو المقام وما يستدعيه من استعمال لأفعال تتماشى معه بغيه إبلاغ الغرض المرجو منها.

Search Summary

Indirect verbal acts in the answers of Imam Ali peace be upon him In the approach of rhetoric and beyond

The indirect verbal act of others is characterized by a secondary meaning in itself that contradicts the apparent meaning, which needs to be alert, focused, and the realization of the mind to know and reach it. The answers of Imam al-Salam were full of this type of verbal action, The Imam, peace be upon him, often mentions something in his answers and wants something else, due to the nature of the context or the place and the use of the actions to be consistent with him in order to inform the intended purpose.

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين حمداً كثيراً لا ينقطع أمده، ولا يحصي عدده، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على حبيبه المختار الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آل بيته الكرام الغر الميامين.

أما بعد، فقد حظيت الأفعال الكلامية ودراستها في العصر الحديث أهميةً لا تخفى على القارئ، وبلغت هذه الدراسات شأواً كبيراً لما قامت به من أبحاث متميزة ولا سيما في القرآن الكريم أسفرت عن نتائج مثمرة فتحت آفاقاً واسعة أمام دارسيها وكان من بين تلك الأفعال الكلامية ما يسمى بالفعل الكلامي غير المباشر وهو الذي ينتقل فيه المتلقي من المعنى الظاهر الى المعنى العميق الذي يختفي خلفه والذي يحتاج معه الى إعمال الذهن لبلوغه وقد كان لهذا الفعل حضور واضح في جوابات الإمام(عليه السلام) في نهج البلاغة والكتب المستدركة عليه إذ وظفها في مواضع ومناسبات شتى فقد كانت الأغراض والمعاني والدلالات التي قصدتها تلك الأفعال غير المباشرة في الجوابات أكثر وأكبر مما يحمله المعنى الصريح إذ كانت جوابات الإمام(عليه السلام) في الأعم الأغلب تكتنز في نفسها معان ودلالات شتى فقد كان (عليه السلام) سيد الكلام وأمير البيان وإمام الفصاحة والبلاغة إذ امتلك زمام اللغة وتصرف بها بحسب ما يرمي إبلاغه الى المخاطب أو المتلقي والسامع باختلاف مستوياته وثقافاته لتحقيق غرض إنجازي ما ومن ثمَّ حصول الغرض التأثيري ونظرا لذلك فقد جاءت تلك النصوص رصينة في مبانيها وبحسبان هذه القيمة الجليلة التي تتحلى بها هذه النصوص ودَّ الباحث الخوض في موضوع **(الأفعال الكلامية غير المباشرة في جوابات الإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة ومستدركه)** للوقوف على الأسلوب العلوي وسبر أغواره والتعرف على الطرائق والأساليب التي كان يستند إليها الإمام بغية الردِّ والإجابة على السائل أو غيره.

وقد اقتضت طبيعة البحث أنْ تبدأ ببيان مفهوم الفعل الكلامي غير المباشر ولاسيما عند بعض الباحثين والدارسين المعاصرين ثم بيان الفرق بين الفعل الكلامي المباشر وغير المباشر وبعد ذلك ذكر جملة من الأمثلة الواردة في جوابات الإمام(عليه السلام).

وختاما وبعد أنْ وفقني الله عزّ وجلّ لإتمام هذا العمل أرجو من الله عزّ وجلّ أنْ يوفق هذا البحث في الكشف عن خفايا تلك الأفعال غير المباشرة وطريقة تداولها في جوابات الإمام(عليه السلام) وأن يقع في المكانة التي يستحقها إنه سميع مجيب وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

الأفعال الكلامية غير المباشرة في جوابات الإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة ومستدركه

مهند بديع ناجي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

أ. د. حسن عبد المجيد الشاعر
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

الفعل الكلامي غير المباشر هو ذلك الفعل الذي ينتقل فيه المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي، فيحتاج إلى تأويل لإظهار نيته أو قصده الإنجازي، فقد يبتغي المتكلم عن طريق قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي الذي أطلقه؛ كما هو الشأن في التلميحيات، والسخرية، والاستعارة، وحالات تعدد المعنى[١]، وقد وصف **سيرل** هذه الأحداث غير المباشرة بأنها: ((حالات ينفذ من خلالها حدث تحقيقي بشكل غير مباشر بواسطة حدث آخر))[٢]، فضلا عن أن هذه الأقوال غير المباشرة لا تتوفر على تطابق بين معنى الجملة والقول، فلا تدل صيغة الجملة على معناها وإنما تدل على معنى آخر مغاير لمعناها الظاهر، وهذا الأمر يعود إلى قصد المتكلم والمقام، الذي يُعد ((فعالية يتفاعل فيها المشتركون من خلال اللغة بطريقة عرفية معينة للوصول إلى ناتج معين))[٣]، فلم يعد الإخبار((القصد الوحيد عن المرسل وإن عددناه واحدا من مقاصده فليس القصد الرئيس إذ يختبئ وراءه قصد آخر اختار المرسل الاستراتيجية التلميحية للدلالة عليه وهو إما الرفض أو التهكم؛ ولذلك لم يستعمل المرسل صيغة الخطاب المباشر))[٤]، وأظهر ما على ذلك المثال المشهور: **(هل يمكنك أن تناولني الملح)**، الذي ظاهره استفهام، ولكن دلالته لا تشير البتة إلى الاستفهام، إنما تشير إلى الطلب[٥]، أو من مثل قولنا: **(اللهم ارزقنا)**، الذي ظاهره أمر، لكن دلالته الضمنية هي الرجاء والالتماس، وبحسب هذا ((ينقل المتحدث إلى المستمع أكثر مما تحمله الكلمات اعتمادا على الخلفية المعرفية المشتركة بينهما سواء اكانت لغوية أو غير لغوية إضافة إلى قدرة المستمع على الاستنتاج والتعقل والتفكير))[٦]، ومن هنا نلحظ أن الجملة في العربية قد تحمل بين طياتها أكثر من غرض إنجازي يمكن للمخاطَب معرفتها بالنظر في ملابسات النص، والظروف التي قيل فيها.

وقد لاحظ بعض الباحثين أننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة؛ لأن ((خطاب الناس بالأساليب غير المباشرة هو الأجدى؛ لأنّه أوقع في نفوسهم، وأكثر إرضاءً لغرورهم، أو أوفق لظروف أحوالهم))[٧]، فضلا عن أن الأفعال الإنجازية، التي لا تستعمل إلا مباشرة قليلة جدا، وهي تقتصر في الغالب على ما يسمى بالأفعال المؤسساتية أو التشريعية كالتوكيل، والتفويض، والوصية، والتوريث، والإجارة ونحوها؛ لأن

الأفعال الكلامية غير المباشرة إن استعملت فإنها تؤدي في النتيجة إلى اللبس وضياع الحقوق[٨]، على أن من الممكن وضع بعض الضوابط للتمييز بين هذين النوعين من الأفعال المباشرة وغير المباشرة بتحديد ثلاثة فروق جوهرية:

١. أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات على حين أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة موكولة إلى المقام إذ لا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه.
٢. أن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يمكن أن تلغى فإذا قال لك صاحبك: أتذهب معي إلى المكتبة؟ فقد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة، وهي الطلب ليقتصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة، وهي الاستفهام.
٣. أن القوة الإنجازية غير المباشرة لا يتوصل اليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة البساطة والتعقيد أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه، من هنا لم تعن النظريات الشكلية إلا بالقوة الإنجازية المباشرة أو الحرفية[٩].

فإذا ما حصل تطابق بين الكلام ودلالة المقول الحرفية يكون الفعل الكلامي في هذه الحال مباشرا أو أوليا على حين إذا لم يحدث تطابق بين المذكورين يكون الفعل الكلامي غير مباشر أو ضمنيا، ومن ثم فإن تحديد طبيعة الفعل الكلامي من حيث المباشرة وعدمها يردّ إلى العلاقة بين البنية والوظيفة، فإذا وجدت علاقة مباشرة بينهما حصلنا على فعل كلامي مباشر وكلما وجدت علاقة غير مباشرة بينهما حصلنا على فعل كلامي غير مباشر[١٠].

اما فيما يخص الجوابات العلوية فقد امتاز أسلوب الإمام(عليه السلام) فيها بالمزاوجة بين المعاني الصريحة، والضمنية غير المباشرة، وقد وردت المعاني الضمنية بكثرة؛ فيكون للمعنى غير المباشر غرض إنجازي، ووقع في النفس أقوى من المعنى المباشر؛ والسبب في ذلك يردّ إلى المتلقي، الذي يكون أكثر تنبها والتفاتا إلى كلام المخاطِب وما يقصده في ذلك الخطاب والمعاني التي تختبئ خلفه بالفعل لينتقل من المعنى الصريح الظاهري، الذي يذكره المتكلم إلى المقاصد التي يريد.

ومن ذلك خروج الفعل الكلامي **الإثباتي** إلى معان أخرى يُفصح عنها السياق، نحو خروجه إلى الدلالة على فعل توجيهي يتمثل في **النهي** في قوله(عليه السلام)، وذلك بعد أن استسفره الناس لإصلاح عثمان ونصحه: **((مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ))**[١١]، فبعد أن غضب المصريون من سياسة عثمان، وخرجوا عليه مطالبين بإنصافهم، ورفع الحيف والظلم عنهم، كان سفيرهم لعثمان في تلك الحادثة هو الإمام(عليه السلام). إذ طلب عثمان منه بعد أن دخل عليه أن يضرب للناس أجلا لكي يصلح من سياسته مظهرا عدم قدرته في تغيير ما يكرهوا في يوم واحد[١٢]، وبحسبان هذا ردَّ عليه الإمام(عليه السلام) موظفا الأسلوب الإثباتي

الخبري بأنه لا أجل في ردِّ ما كره أهل المدينة من سياسته وأما من غابوا عنه فأجلهم وصول أوامره الإصلاحية إليهم(١٣).

ومما يُلاحظ في جواب الإمام(عليه السلام) أنه ورد على سبيل الإخبار غير أنه خرج إلى غرض آخر تمثل في التوجيه المتضمن معنى النهي إذ يكون المعنى الضمني: إنِّي آمرك أن تخرج إليهم، وتصلح الموقف، وتبتغي إلى ذلك سبيلا؛ لأنه لا معنى لتأجيل ذلك(١٤)، فعلى الرغم من المكانة التي كان يحظى بها الإمام(عليه السلام) لم يتوجه لعثمان بالأمر بصورة مباشرة وإنما ساق الحديث على هيأة الإخبار؛ ليطرق بذلك جانب اللين ولاسيما أن الموقف كان متشنجا زيادة على أن الإخبار الذي يكون في معنى الأمر ((أبلغ من صريح الأمر والنهي؛ لأنّه كأنّه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر به))(١٥)، فكانت القوة الإنجازية غير المباشرة للفعل الكلامي الإثباتي تتمثل في العدول عنه إلى أسلوب النهي، والدعوة إلى القيام بإنجاز الأمر؛ ليكون الكلام أكثر تأثيرا ووقعا في المُخاطب، وقد كان الغرض التأثيري يكمن في موافقة عثمان على طلب الإمام(عليه السلام) في الخروج إلى الناس، ورد ظلامتهم.

ومن ذلك أيضا قوله(عليه السلام) في معرض جوابه على من طلب منه النصح: ((**مَنْ اعتَدَلَ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَن كَانَت الدُّنيَا هَمَّهُ اشتَدَّت حَسْرَتَهُ عِنْدَ فِرَاقِهَا، وَمَن كَانَ غَدُهُ شَرّاً مِن يَوْمِهِ فَهُوَ مَحْرُوْمٌ، وَمَن لَمْ يُبَالِ مَا زُوِيَ عَنْهُ مِن آخِرَتِهِ إذَا سَلَمَت لَهُ دُنْيَاهُ فَهُوَ هَالِكٌ، وَمَن لَمْ يَتَعَاهَد النَّقصَ مِن نَفْسِهِ غَلَبَ عَلَيْهِ الهَوَى**))(١٦)، فقد ساق الإمام(عليه السلام) جوابه على سبيل الفعل الكلامي الإثباتي، الذي يتخلله النصح والإرشاد إذ كان المعنى المستلزم للخطاب يكمن في الدعوة إلى الحذر من باب التلطف بالخطاب مع المتلقي إذ لابد على الإنسان من أن يكون في تقدم وتطور مستمر يوما بعد آخر؛ لأنه إذ ما مرَّ عليه يومان متشابهان فقد غُبن، وأن عليه أن يحذر الدنيا، وزينتها، فلا يجعلها كل همِّه حتى لا يتحسر عليها، ويحزن عند فراقها فضلا عن ما ذكره الإمام(عليه السلام) وما نبه عليه من مواعظ أخرى في جوابه فكان المعنى من قوله هو لا تجعل يوميك متساويين كي لا تغبن، ولا يكن همك الدنيا حتى لا تتحسر عند فراقها، ولا تجعل غدك شرا من يومك بغية ألَّا تكون محروما...الخ وفي الحال هذه يكون الأسلوب التوجيهي المتمثل بالنهي أبلغ وآكد؛ ((لأنّه يبرز المنهي عنه في معرض الواقع رغبة في حدوثه وحرصاً على تحقيقه وحثاً على الانتباه وسرعة الإجابة))(١٧).

وتأسيسا على هذا يكون المعنى الظاهر للأفعال الكلامية في النص هو الإثبات. أما المعنى المستلزم فيتمثل في التوجيه وهو التحذير، والنهي من الغفلة.

ومن خروج الفعل الكلامي القولي من دلالة **الإثبات** إلى دلالة **التوجيه** المتمثل بالدعاء قوله(عليه السلام) الذي يوبخ به أصحابه بعد أن دعاهم إلى ردِّ الظالمين فلم يحركوا ساكنا، فكان من

جملة جوابه(عليه السلام) لهم: ((**مَا بَالُكُمْ لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْد وَلاَ هُدِيتُمْ لَقَصْد**))[١٨]، فقد جاء هذا الخطاب مشتملا على فعل كلامي غير مباشر إذ أورد الإمام(عليه السلام) كلامه على سبيل الإخبار غير أنه خرج إلى دلالة أخرى تمظهرت في دلالة الدعاء بقوله: **(لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْد وَلاَ هُدِيتُمْ لَقَصْد)**، وقد جاء هذا الدعاء؛ نظرا لما كسبت أيديهم، ولما أجلبوا على أنفسهم من الخيبة، والخذلان فقد دعا(عليه السلام) عليهم ((بعدم الاستقامة والسّداد لما فيه الصّلاح والرّشاد وعدم الاهتداء للقصد أي الأمر المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الافراط والتفريط))[١٩]، فكان الغرض الإنجازي غير المباشر للفعل الكلامي يتمثل في توبيخهم، وتقريعهم، والتقليل من شأنهم.

أما الفعل الكلامي التوجيهي فيخرج الى دلالات أخر من ذلك خروجه الى دلالة الإثبات الذي يتمثل **بالنفي**، وذلك في جوابه(عليه السلام) على زعم الدهريين الذين قالوا بدوام الدهر، وإنكار الصانع إذ يقول(عليه السلام): ((**فَالوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ الْمُقَدِّرَ، وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، وَلاَ لِاخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إلى حُجَّة فِيمَا ادَّعَوا، وَلاَ تَحْقِيق لِمَا أَوْعَوْا وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَان، أَوْ جِنَايَةٌ مِن غَيْرِ جَان؟**))[٢٠]، فقد ورد الفعل الكلامي التوجيهي الذي يتمثل بالاستفهام في كلامه(عليه السلام) **(وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَان، أَوْ جِنَايَةٌ مِن غَيْرِ جَان؟)** غير مطلوب لذاته وإنما خرج إلى غرض آخر تمثل في أسلوب النفي فكأنه يتعجب من قولهم، وعدم تفكرهم، والنظر إلى ما حولهم ثم ينفي زعمهم، ويفند مذهبهم بتوظيف أسلوب الاستفهام؛ ليكون خطابه متمكنا في النفس، ومؤثرا فيها خير تأثير، فكان في الاستفهام المذكور إشارة إلى عدم إمكان وجودهم من غير موجد، فضلا عن عدم إمكان فنائهم بغير مفن، مثلما لا يمكن إمكان وجودهم بغير موجد[٢١]، وبحسب هذا يكون ((افتقار الفعل إلى الفاعل ضروري وإنكاره باطل ومنكره ضال جاهل))[٢٢].

فكانت القوة الإنجازية غير المباشرة تتمثل في عدول الفعل الكلامي التوجيهي الوارد في النص من دلالة الاستفهام الى دلالة إخبارية تتمظهر في النفي، والتعجب، فكان المعنى المستلزم للفعل الكلامي يكمن في نفي الإمام(عليه السلام)، وتعجبه من زعم هؤلاء المنكرين للخالق جلَّ وعلا.

ومن صور خروج الفعل الكلامي التوجيهي عن دلالته الحقيقي إلى دلالة التعبير جوابه(عليه السلام)، الذي يردُّ به على من قال له: ((يا أمير المؤمنين أي فتنة أعظم من هذه (قتال بعض الصحابة)؟ إن البدرية ليمشي بعضها إلى بعض بالسيف))[٢٣]، فقال(عليه السلام) :((**وَيْحَكَ أَتَكُونُ الحَرْبُ فِتْنَةً وَأَنَا أَمِيْرُهَا وَقَائِدُهَا؟**))[٢٤]، كان هذا الخطاب متزامنا مع واقعة الجمل إذ كان هناك الكثير ممن لم يكن ليستسيغ الأمر المتمثل بمقاتلة الإمام(عليه السلام) لبعض الصحابة فقد أكبروا هذا الأمر، وعدوه فتنة إذ لم تكن لهم بصيرة خالصة يميزون بها، بل أخذوا الأمر على ظاهره بأن المسلمين يقاتل بعضهم بعضا من دون أن يعرفوا الحق فيتبعوا أهله؛ وبحسبان هذا جاء

جواب الإمام(عليه السلام) على من عدَّ تلك الواقعة بأنها فتنة عظيمة، وقد وظف الإمام(عليه السلام) في جوابه الفعل الكلامي التوجيهي الذي ورد على هيأة الاستفهام(**أَتَكُونُ الحَرْبُ فِتْنَةً**) غير أنه عدل فيه إلى قوة إنجازية غير مباشرة تمثلت في التعبير الذي يظهر بالتوبيخ، والتقريع، والإنكار فضلا عن التعجب فالإمام(عليه السلام) لا يريد جوابا من المخاطب وإنما يعبر عن إنكاره وتعجبه من قوله هذا لأنَّ الحرب لا يمكن أن تكون فتنة، وقائدها علي ابن أبي طالب، القرآن الناطق، والحق المبين.

ويخرج الفعل الكلامي التوجيهي الى دلالة الفعل الكلامي التعبيري كذلك نحو جوابه(عليه السلام) على من سأله في أثناء خطبة الجمعة عن قوله تعالى: ﴿**ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ**﴾[٢٥]، ولماذا لا يُستجاب الدعاء، فكان من بين الأسباب التي ذكرها الإمام(عليه السلام) قوله: ((**إِنَّكُم قُلتُم: إِنَّكُم تَخَافُونَ مِنَ النَّارِ وَأَنْتُم فِي كُلِّ وَقْتٍ تَقْدُمُونَ عَلَيْهَا بِمَعَاصِيكُم فَأَيْنَ خَوْفُكُم؟ ... إِنَّكُم قُلْتُم: إِنَّكُم تَرْغَبُونَ فِي الجَنَّةِ وَأَنْتُم فِي كُلِّ وَقْتٍ تَفْعَلُونَ مَا يُبَاعِدَكُم مِنْهَا فَأَيْنَ رَغْبَتُكُم**))[٢٦]، فكان في عدم استجابة الله للدعاء أسباب يجنيها الإنسان على نفسه؛ لتكون حائلا يمنع من الاستجابة كان من بينها ما بيَّنه الإمام(عليه السلام) في جوابه هذا، وهي أنكم في كل وقت تدَّعون خوفكم من النار، ولكن في المقابل تقدمون على كل أمر يقربكم منها، ويجعلكم فيها، فيكون قولكم بخلاف عملكم، فأين ذلك الخوف إذا؟ وإنكم تدّعون رغبتكم في الجنة وطلبها على حين أن أفعالكم لا تنبئ برغبتكم هذه، بل أنكم تقدمون على عمل كل ما من شأنه أن يباعدكم عنها فأين رغبتكم إذا؟ .

ويُلحظ أن الفعل الكلامي التوجيهي المتمثل بالاستفهام والوارد في موضعين من هذا الخطاب لم يكن مطلوبا لذاته، أي لم يقصد منه طلب الجواب، وإنما توخى منه الإمام(عليه السلام) أغراضا أخرى تمثلت في دلالة التعبير الكامنة في الإنكار واللوم والتوبيخ، فتوظيف الأسلوب غير المباشر في حقيقته يعمل على جعل ((المتكلم يتواصل بشكل أكثر مما يفصح عن المحتوى الظاهر للملفوظ، وذلك بفضل توفر خلفية من المعطيات السياقية التي يتقاسمها كل من المتكلم والمخاطب))[٢٧]، ومن هنا يتحقق الغرض الإنجازي غير المباشر للاستفهام(**فأين خوفكم، فأين رغبتكم**)، ومن ثمَّ كان المعنى المستلزم للفعل الكلامي غير المباشر يظهر في توبيخ الإمام(عليه السلام)، ولومه لهم نظرا لاختلاف أقوالهم ورغباتهم مع أفعالهم؛ لأن الذي يرجو شيئا ويرغب به يطلبه، والذي يخاف شيئا يهرب منه وهذه المعاني لم تكن موجودة فيهم بل أرادوا شيئا وعملوا بخلافه فأراد(عليه السلام) بخطابه هذا توعيتهم من غفلتهم وجعل كلامه متمكنا من أنفسهم باستعمال الاستفهام الوارد في غير معناه.

ومن خروج **الفعل الكلامي التوجيهي** من دلالة الأمر الى **الفعل التعبيري** أيضا قوله(عليه السلام) في بعض جواباته على معاوية في كتبه: ((**وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلَاةَ أَمْرِ**

الأُمَّةِ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ))[٢٨]، إذ ذكر الإمام الأفعال الكلامية في خطابه (عليه السلام) بدلالة التوجيه المتمثل بالاستفهام غير أنه طلب دلالة أخرى فتم العدول عن التوجيه إلى التعبير وهو الإنكار فكان المحتوى القضوي للفعل يكمن في أنكار الإمام(عليه السلام) على معاوية أن يكون مسؤولا على الرعية وولي أمر المسلمين إذ ليس له سابقة شرف أو موقف إيجابي أو نصرة للدين أو سوى ذلك يؤهلة ليتمكن من الخلافة والحكم.

من هذا المنطلق جاء الاستفهام في الخطاب العلوي ((على سبيل التقريع والتعنيف والعتاب والإنكار أي هل كنتم ساسة الرعية وولاة أمر الامّة بغير قدم سابق يعني أنّى يكون كذلك أن يلي أحد أمور الامّة بغير قدم سابق ولا شرف سابق))[٢٩]، وبهذا الأسلوب التوجيهي الاستفهامي غير المباشر تتحقق القوة الإنجازية غير المباشرة للفعل الكلامي ويبقى الغرض التأثيري متوقفا على مدى استيعاب معاوية وتأثره بكلام الإمام(عليه السلام).

ومن انتقال الفعل الكلامي **التوجيهي** إلى دلالة ثانية أيضا جوابه(عليه السلام) لمن طلب منه وصف الدنيا، فقال له(عليه السلام): ((**وَمَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ؟ مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ وَمَن سَقَمَ فِيْهَا نَدِمَ وَمَن افتَقَرَ فِيْهَا حَزَنَ وَمَن استَغْنَى فِيْهَا فُتِنَ فِي حَلَالِهَا الحِسَابُ وَفِي حَرَامِهَا العِقَابُ**))[٣٠]، إذ ورد الفعل التوجيهي الاستفهامي في خطابه(عليه السلام)(**وَمَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ**)؛ ليؤدي معنا ثانوياً غير معناه الحقيقي، ألا وهو التحقير والتقليل من شأن الدنيا وتصغيره ، فقد رمى الإمام من قوله(عليه السلام) إلى تنبيه الناس وتحذيرهم من الدنيا والسعي وراء ملذاتها، وبحسبان هذا نجده قد ضمن الطلب معنى آخر أراد به دلالة التعبير عن قلة شأن الدنيا وخستها، ففي أولها عناء، وفي آخرها فناء، وفي حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، فلم يكن ينتظر الإمام(عليه السلام) من قوله جواباً من المتلقين، وإنّما قصد تحذيرهم من الدنيا وهذا المعنى يُلتمس من الخطاب فضلا عن المقام، الذي قيل فيه وتأسيسا على هذا يتمثل المعنى المستلزم فضلا على الغرض الإنجازي غير المباشر من الفعل الكلامي.

ويرد في جواباته أيضا انتقال المعنى من الفعل الإثباتي الكامن في الخبر الظاهر إلى الفعل التعبيري الذي يتمثل **بالكناية** بوصفها جُزءا من الأفعال الكلامية غير المباشرة؛ لأن المعنى الحرفي فيها يؤدي إلى معان أخرى تحتاج إلى إعمال الذهن لمعرفتها والوصول إليها مع عدم الاستغناء عن المعنى الحرفي، من ذلك ما ورد في قول الإمام(عليه السلام): ((**حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نَورِ اللهِ مِنْ مِصْباحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ**))[٣١]، إذ كان الإمام(عليه السلام) في خطابه هذا في صدد الحديث عن تمالؤ قريش عليه ومنابذة بعض الصحابة له فضلا عن معاوية وشيعته[٣٢]، إذ حاول هؤلاء الثلة الضالة تغيير وجهة الرسالة السماوية عن مجراها الموضوع له، إذ جنحوا إلى ميولهم وغرائزهم وأهوائهم ظنا منهم بأن عملهم هذا سيُخلدهم في الدنيا، وقد عبَّر الإمام(عليه السلام)

عن ذلك بأسلوب كنائي مستوحى من قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٣٣]، فقد ذكر الإمام(عليه السلام) الفعل الكلامي الإخباري الذي مَثّل المعنى الظاهر: **(إِطْفَاءَ نَورِ اللهِ مِنْ مِصْباحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ)**، وقصد به الولاية والخلافة وبمصباحه وفواره نفسه الشّريفة الحاملة لذلك النّور والمصدر والوريث الشرعي لحمل الرسالة السماوية بعد الرسول الأكرم**(صلى الله عليه وآله)**، وهو ما يمثل المعنى الثانوي من جوابه(عليه السلام)، فقد جهد معاوية ومن تبعه على إطفاء نور الولاية وإزالة الأمر عن الأحقّ به وأنّ من تقدّم عليهم من المتخلّفين الثلاث وأشياعهم وأتباعهما كان غرضهم إطفاء ذلك النّور أيضا ولكن الله متم نوره وسيجزيهم بذلك عذابا مهينا؛ لنزولهم منزلة الكفار إذا ما حملوا على ختام قوله: ﴿ **وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾.

وبحسبان هذا كانت القوة الإنجازية للفعل الكلامي غير المباشر هو التعبير إذ كان المعنى المستلزم للفعل يكمن في بيان الإمام(عليه السلام) ضعفهم وقلة حيلتهم في محاربة الله(عز وجل)، ورسوله**(صلى الله عليه وآله)**، وفي عدائهم للإمام(عليه السلام) .

ومن الكناية أيضا قوله(عليه السلام): **((صَدَقْتَ أَمَا فاتَّخِذ لِلفَقْرِ جِلبَابَا، فَإِنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إلى شِيْعَتِنَا مِن السَّيْلِ إلى قَرَارِ الوَادِي))**[٣٤]، إذ كان هذا جوابه(عليه السلام) لمن قال له: ((يأأمير المؤمنين إن الله يعلم أني أدينه بحبك في السر كما أدينه في العلانية، وأتولاك في السر كما أتولاك في العلانية))[٣٥] إذ اشتمل كلام الإمام(عليه السلام) على أسلوب كنائي تمظهر في قوله(عليه السلام): **(فأتَّخِذ لِلفُقْرِ جِلبَابَا)** فالجلباب هو: الرداء، وقيل: هو كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها وجمعه جلابيب[٣٦]، إذ ((كنى بالجلباب عن اشتماله بالفقر، أي فليلبس الفقر، ويكون منه على حالة تعمه وتشمله، لان الغنى من أحوال أهل الدنيا، ولا يتهيأ الجمع بين حب الدنيا وحب أهل البيت))[٣٧]، فمن يوالي أهل البيت**(عليهم السلام)** عليه بالزهد في الدنيا، والصبر على الفقر فيها وقد تحققت في جوابه(عليه السلام) القوة الإنجازية غير المباشرة للفعل الكلامي باستعمال اللفظ في غير معناه الظاهر إذ ليس للفقر جلباب، وإنما المراد بذلك الاستعداد والتهيؤ للفقر والزهد واعتياده في الدنيا تأسّيا بآل البيت**(عليهم السلام)**، على حين تكمن القوة الإنجازية للفعل في قوة تمكن أثره في نفس المتلقي أو المخاطب أو السامع والقارئ لكلام الإمام(عليه السلام).

الخاتمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ ، الأعراف: ٤٣، بعد الخوض في ميدان الافعال الكلامية غير المباشرة الواردة في جوابات الإمام علي في نهج البلاغة والكتب المستدركة عليه ينتهي البحث بصاحبه الى أهم النتائج التي توصل إليها وهي:

١. لقد سجل الأسلوب غير المباشر، المتمثل في الخروج على مقتضى الظاهر حضورا قويا في الجوابات العلوية إذ وجدنا فيها خروج جملة كبيرة من الأفعال الكلامية على معانيها الظاهرة الى دلالات أخرى تكمن خلف المعنى الحقيقي جعلتها أفعالا كلامية غير مباشرة.
٢. أراد الإمام(عليه السلام) من هذا الأسلوب أن يكون تأثيره أمكن في المتلقي إذ لا يدعوه أو يأمره أو ينهاه بطريقة مباشرة وإنما بتقنيات اختفت خلف الخطاب المباشر تجعل من المخاطَب متنبها أكثر لما يُقال ومتواصلا معه ومحققا فيه؛ ليصل الى المعنى المقصود.
٣. كان هذا الأسلوب المتمثل بتوظيف الأفعال الكلامية غير المباشرة مبنيا على مبدأ التأدب في مخاطبة الآخر والترفق به.
٤. كانت الكناية من الوسائل غير المباشرة، التي وظفت في جوابات الإمام(عليه السلام)؛ لتحمل المتلقي على إمعان الفكر؛ لبلوغ المطلوب، فكانت أسلوبا فنيا بلاغيا ناجحا في التعبير عن المراد من دون تصريح
٥. راهن المُرسل للخطاب والمتمثل بشخص الإمام(عليه السلام) عن طريق توظيف الأسلوب الكنائي على خلفيات المتلقي الثقافية ومدى ذكائه في فهم الإشارات الخافية، والمعاني المستلزمة من الخطاب الظاهر وبحسب هذا اشتملت الكناية في جواباته(عليه السلام) على درجة كبيرة من الإقناع والتأثير.

الهوامش

١. ظ: العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل ٢٢١، والتداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه:٦٩.
٢. البراغماتية (المعنى في السياق)، جيفري ليش وجيني توماس، (بحث منشور على شبكة الانترنت): ٢٧٣.
٣. التداولية، : جورج يول ٩٤.
٤. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٣٦٨.
٥. ظ: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير: ١٦٤.
٦. الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت: ٥٢.
٧. البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني: ٤٦/١.
٨. ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة:٨٣.
٩. ظ:آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل: ٢٢، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٨٣.
١٠. ظ: التداولية: ٩٢.
١١. نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ٢٢١/٢.
١٢. ظ: منهاج البراعة ، ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ٣٤/١٠.
١٣. ظ: شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي: ٧٣/٣.
١٤. ظ: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد(ت٦٥٦هـ)، : ٢٦٤/٩.
١٥. الكشاف، جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض: ٢٩٠/١.
١٦. مستدرك نهج البلاغة، الشيخ هادي كاشف الغطاء: ٢٧٣.
١٧. علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود: ١٦٣/٢.
١٨. نهج البلاغة: ١/ ١٦٨.
١٩. منهاج البراعة(الخوئي): ٩٣/٨.
٢٠. نهج البلاغة: ٢٥٣/٢.
٢١. ظ: بهج الصباغة، محمد تقي التستري: ١٢٥/٧.
٢٢. منهاج البراعة(الخوئي): ٢٤/١١.
٢٣. نهج السعادة، محمد باقر المحمودي: ٣٥٥/١.
٢٤. نفسه.
٢٥. سورة غافر من الآية: ٦٠.
٢٦. نهج السعادة: ٢٢٨/٣.
٢٧. التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٦٩.
٢٨. نهج البلاغة: ٣٤١/٣.
٢٩. منهاج البراعة(الخوئي): ٤٢/١٨-٤٣.
٣٠. مصباح البلاغة، حسن الميرجهاني الطباطبائي: ٢٩٨/٣.
٣١. نهج البلاغة:٢١٧/٢.
٣٢. ظ: بحار الانوار، محمد باقر المجلسي(ت١١١٠هـ)،: ١٦٢/٣٤.
٣٣. سورة الصف: ٨.
٣٤. نهج السعادة: ٦٨/٩.
٣٥. نفسه: ٦٨/٩.
٣٦. ظ: لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، (جلب): ٣١٧/٢.
٣٧. بحار الانوار: ١٥/٢٥.

المصادر والمراجع

*** القران الكريم**

١. الاتجاهات الحديثة في علم الاساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت، ط١، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م.

٣. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢م.

٤. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، د. أحمد المتوكل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

٥. بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي(ت١١١٠هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

٦. البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.

٧. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري، ط١، دار أمير كبير للنشر، طهران، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧هـ.

٨. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٣م.

٩. التداولية، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتابي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

١٠. التداولية من أوستن الى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية – اللاذقية، ٢٠٠٧م.

١١. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد(ت٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.

١٢. شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي، ط١، دار الرسول الأكرم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.

١٣. العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

١٤. علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ط٤، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
١٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط١،مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
١٦. لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
١٧. مستدرك نهج البلاغة، الشيخ هادي كاشف الغطاء، تح: السيد ابو الحسن علي الموسوي، منشورات مؤسسة كاشف الغطاء العامة، العراق- النجف الأشرف، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
١٨. مستدرك نهج البلاغة الموسوم بمصباح البلاغة، حسن الميرجهاني الطباطبائي، ١٣٨٨هـ.
١٩. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تصنيف: حسن زاده الآملي ، ضبط وتحقيق: علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٢٠. نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جمع: الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، ط١، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ- ٢٠١٠م.
٢١. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر المحمودي، تصحيح: عزيز آل طالب، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٨هـ.

بحوث ومواقع الأنترنت

٢٢. البراغماتية (المعنى في السياق)، جيفري ليش وجيني توماس، بحث منشور على شبكة الانترنت: www.pdffactory.com.